كيف تكرس نفسك
(رومية ١٢)

تأليف: تومي ساوث

يقدم بولس وبطريقة منهجية طريق الخلاص في الأصحاح الأول إلى الحادي عشر من الرسالة إلى أهل رومية، ثم يبين كيف يسوي هذه الخطة مع مواعيد الله لإسرائيل. تضع هذه الاصحاحات التشديد على تعليم الديانة المسيحية.يبدأ بولس من الأصحاح الثاني عشر بالتحول من وضع التشديد على التعليم إلى التشديد على الممارسة. هذا وكأنه قصد أن يجيب على السؤال: «ولكن ما بالي بكل هذا وكيف يأثر في طريقة حياتي؟» توجد إجابة لذلك السؤال في رومية ١٢-١٦، حيث يشدد بولس على التطبيق العملي للحقائق التعليمية التي سبق ذكرها.

ان لذلك مغزى قصد منه بولس توضيح القسم العملي منه بهذه الكلمات: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» يقول كتاب الحياة: «لذلك أتوسل إليكم أيها الإخوة ...» (رومية ١٢: ١).

تأمل في هذه الآية: (١) لاحظ بان بولس «توسل» إلينا. كان لبولس الحق بأن يأمرنا، ولكن استحسن له أن يتوسل، وذلك لأنه كان يأمل أن يحثهم بالتكريس الصادق الذي أراده لهم أكثر مما يفعله الأمر. (٢) توسله مؤسس على «رأفة (أية مراحم) الله» لأن الله قد أظهر لنا رحمته بشتى الطرق، وعلينا أن نكرس أنفسنا لدعوته. (٣) يتوسل إلينا أن نقدم أجسادنا لله؛ يشمل هذا على كل من نحن وكل ما لنا. (٤) علينا أن نقدم أجسادنا «ذبيحة حية مقدسة»، يتضح انه قصد من هذا أن يكون في تباين مع «ذبائح ميتة» أو ذبائح حيوانية. بدلاً من أن يأتي المسيحي بحيوان إلى المذبح ليقدمه لله، طُلِبَ منه أن يقفز هو نفسه على المذبح ليكون اَلذبيحة التي يقدمها لله! (٥) لا بد أن تكون ذبيحتنا «مقدسة» و«مرضية عند الله». ان تكون مقدس يعني أن تكرس نفسك لغرض الله. و«مرضية عن الله» يوحي بالحاجة إلى إتباع إرشادات الله. (٦) تقديم مثل هذه الذبائح هو «عبادتنا الروحية».

النقطة التي يجب توضيحها هنا هي ان ما تبقى من الإرشادات في الأصحاحات ١٢-١٦ من الرسالة إلى رومية ممهدة بالطلب القائل: «... قدموا أجسادكم ذبيحة حية» ومبنية عليه. عندما نحاول ان نحيا حياة مسيحية، يجب أن نضع الأولية لهذه الوصية: وفوق كل شيء قدم نفسك! كيف تفعل ذلك؟ يبين لنا الأصحاح ١٢ من الرسالة إلى أهل رومية ماذا يعني أن نقدم أنفسنا.

تكريس النفس يعني أن لا تعطي نفسك للعالم (رومية ١٢: ٢)

تقول رومية ١٢: ٢: «ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة». (أنظر يعقوب ١: ٢٧؛ ١يوحنا ٢: ١٥). لا يريد المسيح لنا أن نتكيف مع العالم، بل أن نتغير لكي نكون مختلفين من العالم.

قدم شخص ما مثال توضيحي لفكرة الـ «تكييف» مقابل الـ «تغيير» وذلك بمقارنة بين الثرمومتر والثرموستات. يقوم الثرمومتر بقياس الحرارة فقط. إن لم نحترس، نصير هكذا نحن المسيحيين: مقياس العالم فقط،

ومثال للمعايير الاخلاقية التي يضعها الناس عنا. عوضاً عن ذلك يجب أن نكون كالثرموستات الذي لا يقيس الحرارة حوله فقط، بل يتحكم فيها. لا يجب ان نقوم فقط باظهار درجة الحرارة الروحية لعالمنا؛ بل يجب أن نتحكم فيها – وخاصة «الجو الاخلاقي» المحيط بنا – وذلك بان نكون «نور العالم» و«ملح الأرض».

بينما يجب ان نكون مختلفين، علينا ان نتذكر بانه لاتوجد فضيلة في ان نكون مختلفين لأجل الاختلاف. كون ان الناس يدخلون إلى بناية من خلال الأبواب، هذا لا يعني أن ندخل نحن من خلال النوافذ؛ وكون ان الناس يرتدون ملابس زاهية الألوان، هذا لا يعني أنه لا بدأن نرتدي ملابس سوداء فقط. بل بالأحرى يجب أن نكون مختلفين لأننا نحاول العمل بمشيئة الله، بينما لا يحاول الآخرون العمل بها.

كيف نصبح مختلفين؟ يأتي هذا التغيير نتيجة لـ«تجديد أذهاننا». هذا يشمل على أذهاننا. ان المسيحية ليست بلا عقل. يوجد في المسيحية بُعْد روحي، ولكن هذه ليست المسيحية برمتها. بتجديد أذهاننا سنتغير إلى ما يريد الله لنا أن نكون.

نتيجة تغييرنا هي اننا سنختبر ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة. عندما نجدد أذهاننا يمكن أن نعلم بان إرادة الله لنا هي صالحة وكاملة ومرضية.

ان تكرس نفسك يعني أن تعطي مواهبك لخدمة الله (رومية ١٢: ٣–٨)

يتحدث بولس في رومية ١٢: ٣–٨ عن استخدامنا لعطايا الله. يعلم هذا النص بانه يجب أن نعطي بيان مفصل دقيق بمواهبنا. يبدأ بولس بالقول: «فإني بالنعمة الموهوبة لي، أوصي كل واحد منكم ألا يُقَدّر نفسه تقديراً يفوق حقه ...» (رومية ١٢: ٣). لا يقول بولس بان نعتبر أنفسنا كأُناس بلا قيمة، أو ان لا نقَدّر أنفسنا بشيء. يجب أن نؤمن بانه يوجد لنا قيمة عظيمة. لماذا نؤمن بذلك؟ ليس بسبب إنجازاتنا الشخصية، بل بسبب الحقائق التالية: الله هو الذي خلقنا، ويحبنا، ومات المسيح لأجلنا.

وأيضاً لا يقول بولس بانه لا يوجد شيء مروع بصفة خاصة عند القول: «لا استطيع أن أفعل أي شيء؛ لا استطيع الكرازة؛ لا استطيع أن أقود الترانيم؛ لا استطيع أن أدرس حصة الكتاب المقدس». ولا يوجد أي شيء رديء عند القول: «يمكنني أن أعمل بعض الأشياء. يمكنني ان أقود الترانيم؛ يمكنني أن أكرز؛ يمكنني أن أدرس حصة الكتاب المقدس». بل يقول بولس بان لا نُقَدّر أنفسنا فوق ما ينبغي. لا يجب ان نبالغ في الشعور بأهميتنا، أو أن نبالغ في التفكير عن مقدرتنا. ليس خطأ ان نقول: «يمكنني أن أقود الترانيم» أو حتى القول «أنا قائد ترانيم جيّد». ولكن القول «أنا أفضل قائد الترانيم في البلاد» قد يكون هذا تقدير النفس أكثر مما ينبغي. الشيء الأهم الذي يجب أن نعرفه دائماً هو مما لدينا من المواهب هي من الله. لهذا يستحق الله المجد بسبب هذه العطايا، ولا نستحق المجد.

عوضاً عن تقدير أنفسنا أكثر مما ينبغي، يجب ان نفكر بتعقل أو بجدية. يجب أن نُقَيِّم أنفسنا بحرص، ونفكر جيداً لنحدد المواهب التي منحنا الله اياها.

نرى بضع أشياء واضحة عن هذه العطايا.

كل عطية هي من الله

في أفسس ٤: ١١، يمكن السؤال عما إذا كانت العطايا هي عطايا الروح القدس العجائبية، أم كانت عطايا «طبيعية» يمنحنا الله إياها عن طريق الوراثة، أو البيئة المحيطة أوالتدريب، أو إذا كانت بعضها عجائبية وبعضها الآخرى «طبيعية». توجد حقيقة واحدة بغض النظر عن أية من وجهتي النظر قد يتخذها الشخص بما يختص بطبيعة العطايا التي تم الحديث عنها: كلها من عند الله.

نلنا عطايا مختلفة

يقول بولس: «فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة، ولكن ليس جميع الأعضاء لها

عمل واحد » (رومية ١٢: ٤). حدد بولس سبع عطايا، وهي: (١) نبوة – النبي كليم الله؛ هو الذي يعلن عن إرادة الله للمؤمنين أو لغير المؤمنين. (٢) خدمة – يوجد للبعض الواعز وموهبة لخدمة الآخرين. (٣) تعليم – المعلم هو الذي يشرح أو يفسر إرادة الله. (٤) وعظ – توجد للبعض موهبة ليعظوا أو ينصحوا أو يشجعوا كل من المؤمنين وغير المؤمنين ليعملوا إرادة الله. (٥) العطاء – توجد للبعض موهبة العطاء. ربما تشمل هذه العطية أيضاً على القدرة على العمل للحصول على المال وبالتالي يمكن للشخص أن يعطي أكثر. (٦) تدبير/ قيادة (٧) رحمة – البعض موهوبين طبيعياً للاعتناء بالآخرين والوفاء بحاجتهم.

هذه ليست كل العطايا التي منحنا الله. كل ما نملك هو من الله. النقطة الرئيسية هي لدينا مواهب مختلفة من الله، فلا يجب ان نتوقع من كل شخص أن يكون مثلنا، ولا يجب أن نتوقع ان نكون مثل الآخرين. لا ينبغي أن نزدري بالآخرين بسبب مواهبهم أو نعتبر أنفسنا أدنى منزلة بسبب ما لدينا من مواهب نعتبرها أدنى درجة.

علينا أن نستخدم مواهبنا بإخلاص

هذا هو التوكيد الذي تضعه رومية ١٢: ٦–٨: « بما أن المواهب موزعة بحسب النعمة الموهوبة لنا، فلنمارسها ». لاحظ بانه تم وعظ الشخص الذي يعطي بان يعطي بسخاء، والذي يقود مطلوب منه ان يفعل ذلك باجتهاد. لا تجعل المواهب التي اعطاك الله إياها تتضاءل، بل استخدمها باجتهاد في خدمته.

علينا أن نستخدم مواهبنا لخدمة لله والآخرين

حسب ما ورد في أفسس ٤: ١٢، كانت المواهب التي من الله هي « لبنيان جسد المسيح ». وحسب ما ورد في ١بطرس ٤: ١٠ و١١ مهما نلنا من موهبة، ينبغي أن نستخدم تلك الموهبة لنخدم بها بعضنا البعض لكي يمجد الله. إذا كنا نستخدم المواهب الطبيعية التي أعطانا الله أيها لخدمة أنفسنا، فاننا بهذا نسيء استخدامها. لقد منحنا الله بهذه العطايا لمنفعة بعضنا البعض، ولبناء الكنيسة، ولمجد الله!

ان تكرس نفسك يعني أن تعطي نفسك للآخرين وذلك بأن تحيا حياة المحبة (رومية ١٢: ٩–١٦)

يتضح بانه لمعظم هذه العظات، إن لم يكن كلها صلة بالمطلب الأول: « المحبة فلتكن بلا رياء ». هنا يصف بولس حياة المحبة التي تختلف عن أي شيء قد يجده الشخص في العالم. فلننتبه إلى هذه العظات.

« المحبة، فلتكن بلا رياء »

كل ما يعتبر محبة دنيوية هو بالحقيقة محبة غير صادقة، لخدمة الذات. يقول العالم « تمثل كأنك تحب الناس لكي تحقق أهدافك ». ولكن الرب يقول « أحبوا الناس بإخلاص، ليس بسبب دوافع خفية، بل لأن المحبة هي سبيل المسيحي ».

« كارهين الشر، ملتصقين بالخير »

المحبة لا تميز كثيراً بين الخير والشر في عالمنا. يؤمن البعض بان المحبة يمكن أن تحول الخطأ الي صواب. بالمقابل يريد الرب منا ان نعلم ما إذا كنا نعمل بالمحبة أم لا. إن لم يكن صحيحا حسب كلمة الله، فلا يمكن ان يكون بالمحبة. تهتم المحبة دائماً بتجنب الشر، وعمل الخير.

« وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية، مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة »

نبغي أن نعامل بعضنا البعض بلطف ومحبة. يقول هذا النص بان نكون منهمكين في منافسة مقدسة لنرى من يستطيع أن يظهر للآخر أعظم اكرام!

« غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب »

لمحبة الإخوة صلة وثيقة بمحبة الله. لا

يمكننا أن نحب الآخرين كما ينبغي أن نحبهم إن لم نخدم الرب. ولكن من ناحية أخرى، إذا كنا «متوهجين بالروح» فمن المنتظر أن نكون من النا س الذين يسهل لهم أن يحبوا الآخرين ويحبونهم أيضاً.

«فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة»

تخصص هذه الآية المحبة لأزمنة الضيق. في مثل هذه الأزمنة، يجب أن نفرح في رجاءنا. أي بمعنى آخر، مهما كانت الحالة سيئة، نظل نرجو حياة أخرى آتية حيث تكون الأمور أفضل. يجب أن نبقى صابرين، وأمناء لله، مهما أصابنا من الاضطرابات. ينبغي أن نصلي على الدوام. يساعدنا الله خلال أوقات المحنة. ولكن يجب أن نصلي له دائماً، ونطلب منه العون. عندما تصبح الأمور عسيرة، أفرح في رجاءك، وأبقى ثابتاً في إيمانك، وتوجه إلى الله دائما في صلاة.

«مشتركين في احتياجات القديسين، عاكفين على إضافة الغرباء»

عندما نحب الذين بالكنيسة، نسعى للوفاء بحاجاتهم. هذا يتطلب منا ان نعطي بسخاء لإعانتهم. يتطلب منا أيضاً «ممارسة الكرم». لم يكن الكرم في كنيسة القرن الأول مجرد دعوة بعض المسيحيين لتناول الغداء يوم الأحد، بل كان عمل الخير للآخرين. هكذا فانه من الضروري مساعدة الذين هم ليسوا اصحابنا بعد، والذين قد لا يكونون من طبقتنا الاقتصادية الاجتماعية، والذين يعتبرون أفقر منا.

«باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا»

يتصرف المسيحي بطريقة محبوبة، حتى تجاه مضطهديه، يباركهم عوضاً عن لعنتهم! لن تجد مثل هذه السلوك في العالم؛ يحتمل ان الذين في العالم يضرون الآخرين. وإن لم يكن الأمر كذلك، فمن المحتمل ان يردوا العنف بالعنف. على الأقل يلعنون الذين يلعنوهم. وبالمقابل، لا يمتنع المسيحي من أن يضر بالآخرين، ولا ينتقم بعنف من الذين يلعنونه.

«فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين»

من إحدى ميزات محبة المسيحي هي التعاطف – القدرة على الاحساس بشعور الآخرين. عندما يبكي الآخرون، يشاركهم المسيحي في حزنهم فيبكي أيضاً. قد يصعب على البعض تطبيق الجزء الآخر من هذه الآية: «افرحوا مع الفرحين»؛ عندما يختبر الآخرون التوفيق بالنجاح، يكون من الصعب على البعض منا ان يكفوا عن التفكير: «لماذا لم يحدث إليّ؟ فإني استحق ذلك كما هو أيضاً». ولكن علينا ان نعمل لتجنب الغيرة لكي نفرح حقاً مع الفرحين.

«مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً، غير مهتمين بالأمور العالية، بل منقادين إلى المتضعين؛ لا تكونوا حكماء عند أنفسكم»

أخيراً، يتطلب طريق المحبة أن نحب جميع الناس مهما كانت مكانتهم في الحياة. عادة ما يعامل المساكين بإزدراء، ويساء معاملتهم، والعالم يحتال عليهم. ولكن لا يفعل شعب الله هكذا. بل يحبون جميع الناس، الأغنياء والمساكين، العظماء والحقيرين.

أن تكرس نفسك يعني أن تقدم نفسك لأعداءك بعمل الخير لهم (رومية ١٢: ١٧-٢١)

يقول العالم: «أفعلوا بالآخرين قبل أن يجدوا الفرصة ليفعلوا بكم» أو «أفعلوا للأخرين كما يفعلون بكم». بالمقابل، يخبرنا بولس بالكيفية التي نستجيب بها للاضطهاد.

أولاً: بالنسبة لكم، «إن كان ممكناً فحسب طاقاتكم سالموا جميع الناس» (رومية ١٢: ١٨).

إذا أصبح هذا مستحيلاً، يجب أن نعمل الآتي: (١) لا ترد شراً بشر. عوضاً عن ذلك، قل وأعمل الأشياء التي يراها جميع الناس بانها محترمة. (٢) ان لا ننتقم أبداً. قد يجب الانتقام على بعض الأشياء التي ترتكب ضدنا؛ يجب

معاقبة المجرم، ولكن لا يجب أن نظن بان هذه مهمتنا، لأن لله الانتقام! (٣) أن نعمل الخير لأعداءنا – «فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه». لماذا؟ مع ان هذا النص يقول لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه، إلا انه ليس السبب الذي من أجله نعمل الخير لأعداءنا. بل السبب هو انه بهذه الطريقة نغلب الشر بالخير. عندما يفعل أحد شراً ونرد له بالمثل، نكون شريرين مثله. ولكن إذا فعلنا الخير بالمقابل، نبين بان صلاحنا قد تغلب على شره.

قرأتُ ذات مرة عن زوجين مسيحيين، كان قدقتل ابنهما المراهق من قبل سائق سيارة سكران وكان السائق بعمر ابنهما. كانا في مرارة في أول الأمر. ولكن أخيراً حاولا الخضوع إلى ارادة الكتاب المقدس، فاستصحبا قاتل ابنهما وساعدا في إعادة تأهيله إلى النشاط النافع البناء. هل كان القيام بذلك صعبا؟ نعم! ولكن هل كان مستحيلاً؟ كلا! عندما نعطي أنفسنا لأعداءنا بان نرد الشر بالخير، حينئذ يدرك العالم باننا قد قدمنا أنفسنا لله.

الخلاصة

هل أنت غير راغباً في تكريس نفسك؟ إذا كان الحال هكذا ، فأصغي إلى كلمات يسوع التالية: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها» (متى ١٦: ٢٤ و٢٥). إذا تمسكت بحياتك بأنانية، فأنت تحرم نفسك من الحياة الحقيقية، وبتقديم ووهب حياتك، فانك بهذا تحرم نفسك من الحياة الحقيقية، وملء الحياة، والحياة الأبدية. وبتقديم نفسك ووهب حياتك فانك تجد الحياة الحقيقية، وملئ الحياة والحياة البدية.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧